

التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة الثامنة عشرة، العدد السابع، نيسان ٢٠٢٢

مختارات أبائية \ حياة روحية

القديس فيلاريت موسكو، مختارات تعليمية

القديس نيقولا فيليميوفيتش، صلاتان من أجل الأعداء

القديس يوحنا ماكسيموفيتش، أثبت وتيقظ

القديس إينوكنديوس أسقف خيرسون، حان الوقت لازدراء الشيطان

القديس أليكسي ميتشيف، نصائح عملية في الحياة الروحية

أبطال رويون

أسرة التراث الأرثوذكسي، القديس أفمانوس ساريداكيس: الصديق الإلهي للبُصر

لاهوت

الميتروبوليت ييروتثوس فلاخوس، السمة العلاجية للأرثوذكسية

الشماس بافل سيرزانتوف، عن آلام المسيح وكتاب أيوب

إيريني أرتامي وخريستوس تارازيس، معرفة الله في كتابات ديونيسيوس الأريوباغيتي

مختارات تعليمية

القديس فيلاريت موسكو

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

- يفهم بعض الناس كلمة "الحرية" على أنها قدرة المرء على فعل ما يريد... الأشخاص الذين تركوا أنفسهم يُستعبدون بالأكثر للخطايا والأهواء والانحرافات، يظهرين في كثير من الأحيان كمتعصبين للحرية الخارجية، ساعين إلى توسيع القوانين قدر المستطاع. لكن إنساناً مثل هذا يستخدم الحرية الخارجية فقط ليرهب نفسه بشدة بالعبودية الداخلية. الحرية الحقيقية عند الإنسان غير المستعبد للخطيئة وغير الموحوز من ضمير يديئه، هي كفاءته الفعالة في اختيار الأفضل في ضوء حق الله، وتفعيله بمعونة قوة نعمة الله. هذه هي الحرية التي لا تُقيدها السماء ولا الأرض.
- إن السمكة الحية تسبح عكس جريان المياه. أما الميتة فتطفو مع الماء. كذلك يسير المسيحي الحقيقي عكس تيار عصر الخطيئة. أما الزائف فينجرف بعيداً من سرعة التيار.
- إذا كنت عند مجيئك إلى منزل الملك تشعر بالقلق وتهتمّ بالأشياء يتعارض مع كرامة المكان، فبأى خشوعٍ إذاً عليك أن تدخل إلى منزل ملك السماء! إذا كان الخوف يملكك في بيت الملك، على الرغم من أنه لا يراك، على الرغم من أنه قد لا يكون في المنزل، فبكم من الخوف ينبغي لك أن تقف في بيت الله، حيث الدائم الوجود حاضرٌ دائماً، والناظر الكُلُّ يراك باستمرار. عندما تسمع صلاةً في الكنيسة، إسع ألا تسمع أذنك فحسب، بل قلبك أيضاً، حتى تصبح صلاةً الكنيسة صلاتك الخاصة.
- الكنيسة مقدسة بالرغم من وجود خطأة بداخلها. أولئك الذين يخطئون، ولكنهم يتطهرون بالتوبة الحقيقية، لا يعيقون الكنيسة عن أن تكون مقدسة. أما الخطأة غير التائبين فيقطعون من جسد الكنيسة سواء بشكلٍ ظاهرٍ بسلطة الكنيسة، أو بشكلٍ غير مرئيٍّ بحكم الله. وهكذا تظل الكنيسة مقدسة.
- يجب على كل مسيحي أن يجد لنفسه حافزاً وضرورةً ليتقدّس. إذا كنت تعيش بدون جهادٍ وبدون رجاءٍ في أن تتقدّس، فأنت مؤمنٌ فقط بالاسم وليس في الجوهر. لكن بدون قداسة، لن يرى أحدُ الرب، أي أن أحدًا لن ينال البركة الأبدية. إنه قولٌ جديرٌ بالثقة أن يسوع المسيح جاء إلى العالم ليخلص الخطأة (تيموثاوس الأولى ١٥:١)، لكننا نخدع أنفسنا إذا اعتقدنا أننا نخلص فيما نحن باقون خطأة. يخلص المسيح الخطأة بمنحهم الوسائل ليصيروا قديسين.

- Source: Collection of quotes from different online sources.

صلاتان من أجل الأعداء

القديس نيقولا فيليميروفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في عام ١٩٤١، أثناء الاحتلال الألماني ليوغوسلافيا، تم القبض على الأسقف نيكولاي مع البطريرك غابرييل دوشيتش، وحُكِمَ عليهما بالسجن في معتقل داخاو السيئ السمعة في ألمانيا. لقد أمضى عامين في داخاو، يشهد ويعاني من أقسى أنواع التعذيب التي تعرض لها البشر في العالم.

الصلاة الأولى

بارك أعدائي يا رب، حتى أباركهم أنا ولا ألعنهم. لقد دفعني الأعداء إلى اعتناقك أكثر مما دفعني الأصدقاء. لقد ربطني الأصدقاء بالأرض، وأطلقني الأعداء من الأرض، وهدموا كل تطلعاتي في العالم. لقد جعلني الأعداء غريبًا في الميادين الدنيوية وساكنًا غريبًا في العالم. كما أن الحيوان المطارد يجد المأوى أكثر أمانًا من الحيوان غير المطارد، كذلك، إذ كنت مضطهدًا من الأعداء، وجدت ملاذًا آمنًا إذ أمنت نفسي تحت خيمة اجتماعك، حيث لا يستطيع أصدقائي ولا أعدائي أن يزهقوا روحي.

بارك أعدائي يا رب، حتى أباركهم ولا ألعنهم. هم، وليس أنا، قد اعترفوا بخطاياي أمام العالم، عاقبوني حينما ترددت في معاقبة نفسي، عذبوني عندما حاولت الهروب من العذاب، وبخوني لما أطريت نفسي، بصقوا علي حينما امتلأت غطرسة.

بارك أعدائي يا رب، حتى أباركهم ولا ألعنهم. في كل مرة جعلت نفسي حكيماً، نادوني بالأحمق. وحينما جعلت نفسي قويًا هزؤوا بي كنافه.

كلما أردت أن أقود الناس، كانوا يرمون بي إلى الخلف. عندما سارعت إلى إغناء نفسي منعوني بيد من حديد. عندما افتكزت أني قد أنام بسلام أيقظوني من نومي. في كل مرة حاولت أن أبني بيتًا لحياة مديدة هادئة كانوا يهدمونه ويطردوني خارجًا. بالحقيقة، لقد فك الأعداء رباطي بالعالم، وبسطوا يدي إلى هذب ثوبك.

بارك أعدائي يا رب، حتى أباركهم ولا ألعنهم. باركهم وأكثرهم: ضاعفهم وزد مرارتهم ضدي، حتى يصير التجائي إليك بلا عودة، حتى يتبعثر كل رجاء بالبشر مثل نسيج العنكبوت، حتى تملك السكينة المطلقة في نفسي، ويصير قلبي مقبرة لتوأم شروري: الكبرياء والغضب، حتى أكّس كل كنزي في السماء، وأكون لمرة حراً من الخديعة الذاتية، التي علقتني في شبكة حياة الوهم الرهيبة. لقد علمني الأعداء معرفة ما بالكاد يعرفه الآخرون، وهو أن الإنسان لا أعداء له، بل أصدقاء قساة. يصعب علي جدًا أن أقول من في العالم صنع لي الخير أكثر، ومن صنع لي الشر: الأصدقاء أم الأعداء.

لهذا يا رب، بارك كليهما، أصدقائي وأعدائي. العبد يلعن الأعداء لأنه لا يفهم. أما الابن فيباركهم لأنه يفهم. فالابن يعرف أن أعداءه يعجزون عن المساس بحياته. لهذا هو يتمشى بينهم بحرية ويصلي إلى الله من أجلهم. بارك أعدائي يا رب حتى أباركهم ولا ألعنهم. آمين.

الصلاة الثانية

أيها الرب يسوع المسيح إلهنا، إقبل مني، أنا عبدك غير المستحق، هذه الصلاة من أجل أعدائي وأعدائنا. اغفر لنا كل ذنوبنا. ارحم كل أعدائنا الذين يكرهوننا، أو يهينوننا، أو يضطهدوننا، أو يعدّبوننا، ولا تحكم عليهم كما يستحقون، ولكن حسب رحمتك العظيمة بدلهم جميعًا: غير المؤمنين إلى الإيمان الحقيقي والصلاح، وليبتعد المؤمنون عن الشر ويفعلوا الخير حتى لا يموت أحد منهم بسببنا نحن عبيدك غير المستحقين.

أيها الرب الرحوم، أتوسل إليك بشكل خاص من أجل الذين أسأؤوا إلي بمختلف الأشكال، أو أأحزنوني: لا تعاقبهم من أجلي أنا الخاطيء، بل اسكب لطفك الغني عليهم.

أصلي إليك أيضًا يا رب، من أجل الذين استفزيتهم بشكل خاطيء أو حرّضتهم على خطيئة المعادة، واغفر لهم ولي أيضًا. تذكّر، يا رب، أننا جميعًا بشر، وكبشر نخطأ إليك وضد بعضنا البعض، لكن أنت يا الله، كخالقنا وأبيننا، اغفر لنا برحمتك وارحمنا.

أيها السيد المحب البشر، يا الله مخلصنا، اغفر لنا خطايانا وعدائيتنا بعضنا لبعض. اقتلع من قلوبنا يا رب كل استياء متبادل وخبث متفاخر واستنكار للشر، وكل ما قد يعيق المحبة ويضعف المودة الأخوية. فأنت إله الرحمة والمحبة للبشر، وقد أوصيتنا أن نغفر حتى لأعدائنا، وأن نصلي إليك من أجل الذين يكرهوننا ويضطهدوننا. لك المجد والشكر، يا من وحده محب للبشر، عن كل شيء وكل شخص إلى كل الأدهار.

آمين

Source: Bishop Nikolai Velimirovich. Prayers by the Lake. Serbian Orthodox Metropolitanate of New Gracanica. 1999.

أثبّت وتيقَّنْ

القديس يوحنا ماكسيموفيتش، رئيس أساقفة شنغهاي وسان فرانسيسكو
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أثبت في أمور اليقظة الروحية، لأنك لا تعرف متى سيدعوك الرب إليه. في حياتك الأرضية، كن مستعدًا في أي لحظة لتقدّم له حسابًا. إياك أن يوقعك العدو في شباكه ويخدعك ويُسقطك في تجربة. افحص ضميرك يوميًا. محص نقاوة أفكارك ونواياك.

كان لأحد الملوك ابنٌ شرير. وإذ لم يكن لديه أمل في أن يتغير للأفضل، حكم الأب على الابن بالموت. أمهله شهرًا للاستعداد. ولما مرّ الشهر دعا الأب الابن. ولدهشته، رأى أن الشاب قد تغير بشكل ملحوظ: كان وجهه نحيفًا ومسلولاً، وبدا جسده كله كما لو كان قد تألم.

"كيف حدث هذا التحول يا بني؟" سأل الأب. أجاب الابن: "أبي وسيدي، كيف يمكنني ألا أتغير وكلّ يوم يمرُّ بي يُقرّبني من الموت؟" قال الملك: "جيد يا بني. من الواضح أنك عدت إلى رشدي، لذا سأعفو عنك. ومع ذلك، يجب أن تحفظ هذا الاستعداد اليقظ لبقية حياتك." أجاب الابن: "يا أبي، هذا مستحيل. كيف يمكنني الصمود أمام التجارب والأهواء التي لا تُعدُّ ولا تُحصى؟"

فأمر الملك بإحضار إناءٍ مملوءٍ بالزيت، وقال لابنه: "خذ هذا الإناء واحمله في جميع شوارع المدينة. سيتبعك جنديان بسيوفٍ حادة. إذا أهرقت قطرةً واحدةً سيقطعان رأسك". أطاع الابن. وبخطواتٍ خفيفةٍ وحذرةٍ سار في الشوارع والجنديان يرافقانه، ولم يُريق قطرةً من الزيت. عندما عاد إلى القلعة، سأل الأب: "يا بني، ماذا رأيت وأنت تمشي في المدينة؟" أجاب الابن: "لم أر شيئاً". "ماذا تقصد بلا شيء؟" قال الملك، "اليوم عطلة؛ لا بدّ وأنت رأيت الأكشاك مع جميع أنواع الحلوى، والعديد من العربات والناس والحيوانات...". قال الابن: "لم ألاحظ أيًا من ذلك. كان كل اهتمامي منصباً على الزيت في الوعاء. كنت خائفًا من سكب قطرة واحدة وبالتالي فقد حياتي".

قال الملك: "حسنًا يا بني. احفظ هذا الدرس في فكري لبقية حياتك. كن يقظًا على روحك كما كنت اليوم على الزيت في الإناء. أبعد أفكارك عما سيزول قريبًا، واحفظها مركزة على ما هو أبدي. لن يتبعك جنودٌ مسلّحون بل الموت الذي يقترب منا كل يوم. كن شديد الحرص على حفظ نفسك من كل التجارب المدمرة". أطاع الابن والده وعاش سعيدًا.

"إسهرّوا. اثبّثوا في الإيمان. كوّنوا رجلاً. تقوّوا." (كورنثوس الأولى ١٦:١٣). يعطي الرسول المسيحيين هذه النصيحة المهمة لجذب انتباههم إلى خطر هذا العالم، ولدعوتهم إلى الفحص المتواتر لقلوبهم، إذ بدونه يسهل على الإنسان أن يدمر نقاوة إيمانه وقوّته، ويعبّر بشكلٍ غير ملحوظٍ إلى جانب الشر والكفر.

تمامًا كما أن أحد الاهتمامات الأساسية هو توخّي الحذر من كل ما قد يكون ضارًا بصحتنا الجسدية، كذلك يجب أن يكون اهتمامنا الروحي هو الانتباه إلى كل ما قد يضرّ بحياتنا الروحية وعمل الإيمان والخلاص. لذلك،

قيم دوافعك الداخلية بعناية وانتباه: أهي من الله أم من روح الشر؟ احذر من تجارب هذا العالم ومن الناس الذنويين. احذر التجارب الداخلية الخفية التي تأتي من روح اللامبالاة والتهاون في الصلاة، ومن تلاشي المحبة المسيحية. إذا حوّلنا انتباهنا إلى ذهننا، نلاحظ سيلاً من الأفكار والخواطر المتتالية. هذا السيل لا ينقطع. إنه يجري في كل مكان وفي كل وقت: في المنزل، في الكنيسة، في العمل، عندما نقرأ، عندما نتحدث...

يكتب المطران ثيوفان الحببيس أن هذا ما يسمّى عادةً التفكير، ولكنه في الحقيقة اضطرابٌ في العقل، تشتتٌ، وقلة تركيز وانتباه. يحدث الشيء نفسه للقلب. هل سبق لك أن راقبت حياة القلب؟ جرّب ذلك ولو لفترة قصيرة وانظر ماذا ستجد. يحدث شيء مزعج، فتغضب؛ تقع بعض المصائب، فتشفق على نفسك؛ ترى شخصاً لا تحبه، فتزداد العداوة بداخلك؛ تلتقي بأحد نظرائك الذي قد تفوق عليك الآن على المستوى الاجتماعي، فتحسده؛ تفكّر في مواهبك وقدراتك، فتبدأ بالتكبر... كل هذا فساد: المجد الباطل، الشهوة الجسدية، الشراهة، الكسل، الخبث - الواحد منها فوق الآخر، يدمرون القلب. وكل هذا قد يمرّ عبر القلب في غضون دقائق. لهذا السبب كان أحد النساك، الذي كان شديد الانتباه لنفسه، محقّقاً تماماً في قوله إن "قلب الإنسان مليء بالأفاعي السامة. وحدها قلوب القديسين متحررة من هذه الأفاعي؛ الأهواء."

لكن هذه الحرية لا تتحقق إلا عبر عملية طويلة وصعبة من معرفة الذات، والعمل على الذات واليقظة في الحياة الداخلية، أي النفس.

كن حذراً! انتبه إلى نفسك! أبعد أفكارك عما سوف يزول قريباً وحوّلها إلى ما هو أبدي. هنا سوف تجد السعادة التي تنشدها روحك، والتي يتعطش إليها قلبك.

Source: Archbishop of Shanghai and San Francisco St. John. "Stand Fast and Watch". Pravmir. 07 August 2008.
<https://www.pravmir.com/be-careful-watch/>

حان الوقت لازدراء الشيطان

القديس إينوكنديوس أسقف خيرسون

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يا إخوة، لقد أنهيينا بنعمة الله صوماً كبيراً مقدّساً آخر. أولئك الذين أمضوه كما ينبغي قد أحرزوا الكثير، ولكن بالمثل، خسارة الذين لم يمضوه كما ينبغي ليست ضئيلة. لا تُرغم الكنيسة أحداً على الالتزام بفرائضها، ولكن من لا يلتزمون يعاقبون أنفسهم. حين يدخل الذين تعبوا حسناً في الصوم إلى فرح ربهم، لا بد وأن يشعر الضعفاء والمخالفون من أبناء الكنيسة بشيء من الحرمان والحسرة. سيكون حسناً إذا سمح الله لهم أن يعيشوا مجدداً حتى صوم كبير آخر لتصحيح التواني الحالي (مع أنه لم يعد ممكناً استرجاع ما قد فقد بالكامل)، وبالنسبة لمن لا ينال هذه الرحمة من الله، فإن الصوم الكبير قد فات إلى الأبد. ما الذي منعك عن الطاعة، وعن أن تبذر مع الآخرين لكيما تحصد الآن معهم؟ حين نعمل، يكون الأمر دوماً صعباً بعض الشيء، ولكنه مُفرح بالأكثر حين ينتهي العمل. أظن أن هذا اليوم مبهج للغاية لمن تعبوا طيلة الصوم الكبير المقدس. فليرتب هؤلاء بتواضع أمام مذبح الرب، وليشكروا الله على هذا! بدون نعمته، يا إخوة، ليس أنتم ما كنتم لثنها هذا العمل المقدس فحسب، بل ما كنتم حتى لتبدؤوا به.

ولكن، بفرحنا في نهاية هذا العمل، يجب ألا نفرح مثل سجين يغادر السجن؛ قد يعني هذا عدم إدراكنا لقيمة وحلاوة الصيام، فكل من عرف (هذه القيمة والحلاوة) لن ينقطع عن الصيام حتى في نهاية الصوم الكبير. وكيف لنا أن ننقطع؟ هل يمكن الكف عن الصيام الداخلي، المُتمثل بالإمساك عن الأهواء، دون إهلاك النفس؟ ستكون نهاية هذا الصيام نهايةً لفضيلتنا. قد أوجد هذا الزمن المحدد (زمن الصوم) للامتناع عن الأطعمة، وليس عن الخطايا. ولكنه من السيء أيضاً أن نقصر ضبط النفس في الأطعمة على زمن واحد. أي طعام مؤذٍ للنفس مُحَرَّم في أي وقت، وكل من يأكله مُضراً بنفسه، في أي وقت يأكله (في زمن الصوم أو خارجه)، فإنه يخالف أحكام الصيام. لذلك، فإنه ليس من الضروري الانقطاع عن الصيام الجسدي بالكليّة، كما يفعل الكثيرون. الانقطاع الكلي عن الصيام هو دليل أنك لم تُحبّه؛ إذ هل من الممكن أن تعدل عن أمر قد أحببته بصدق لمدة طويلة؟ وهل من الممكن ألا تحب بصدق ما قد شفى نفسك؟ إذا تخلّيت بشكل كامل عن الصيام فهذا يُظهر أنك ضمت بداعي الضرورة وليس القناعة، التزمت بعهود كعبد وسجين.

لا بد وأنه قد ثبت لك بالخبرة أن الصوم سابق ومرافق دائم للصلاة، وأب للتأملات التقيّة، ومعلّم للمشاريع الصالحة، ومؤازر لأعمال الإيمان والمحبة الصعبة. لذلك، الجأ إليه فوراً في كل هذه الحالات. لأن هذه هي سمة العلاجات النافعة والمُثبتة؛ أنه يُستعان بها عند أول حاجة. وأفضل شيء على الإطلاق هو أن تجعل الصوم مرافقاً لك طيلة حياتك. لا ترتعد من هذه النصيحة، فالعمل بها لن يجعل حياتك مملّة أو صعبة كما قد يبدو لك، بل على العكس، سينجيك من شرور وأحزان وويلات كثيرة. أنت نفسك ستوافق حين تُدرك ما الذي يشكّل

الصيام الدائم: ليس الأمر امتناعًا عن الطعام، بل تناوله على نحو لا يُرضي الجسد مُطلقًا، فتنهض كل مرة عن المائدة وأنت ما تزال جائعًا بعض الشيء وليس شبعانًا كما يحصل عادةً. هل هذا الجهاد الروحي صعب؟ ألا ينصح الأطباء أيضًا بذلك؟ ألا يعود ذلك بجسدٍ معافى؟ ولكننا نعدك بنفسٍ معافاةٍ مقابل ذلك. إذ ينبغي الاعتراف والإقرار بأن النفس لا تعاني من شيء بقدر ما تُعاني من الجسد، والجسد لا يعاني من شيء بقدر ما يعاني من فرط الطعام والشراب.

ما قلته عن الصوم يجب قوله أيضًا عن التوبة والاعتراف؛ يجب ألا ننصرفَ عنهما في نهاية الصوم. لو كنا نخطئ ونسقط في وقتٍ واحدٍ محدّد، لأجلنا التوبة إلى ذلك الحين، ولكننا نخطئ في أوقاتٍ مختلفة؛ وحين نخطئ ينبغي إذًا أن نتوب ونعترف. هل نتنظر حتى يلهب الجرح؟ إننا بالأحرى نحاول على الفور مداواته بمجرد أن نُجرح. ينبغي أن نتصرّف بنفس الطريقة مع الجراح الروحية؛ مع الخطايا. لذلك فإن المشفى الروحي مفتوح دائمًا ليكون من الممكن دومًا المجيء إليه للتداوي. إذا كان من غير الممكن إهمال جرحٍ جسديٍّ لمدةٍ طويلةٍ دون أن يشكل ذلك خطرًا (على الصحة)، فالأمر ينطبق على الجرح الروحي بالأكثر. إننا نستخفّ بحمل جرحٍ في النفس لمدةٍ طويلةٍ، ولكن ذلك ضلالٌ رديء. الخطيئة سمٌّ مريع. إن لم توقّف فعلها بالتوبة السريعة فإنها تخترق كامل النفس وتصيبها بالعدوى لزمّنٍ طويل. لهذا نصح عبيدًا تعساء للأهواء، لأننا لا نقمعها منذ البداية. وبعد ذلك، نتوب ونرى عبوديتنا، ولكننا غالبًا ما لا نعود قادرين على كسر رباطات الأهواء.

فيما يخض الاشتراك في الأسرار المقدسة، لا أعرف كيف يستطيع مسيحيٌّ حقيقي أن يحرم نفسه من هذا الطعام الإلهي طيلة السنة. مجرد هذا الحرمان وحده يُظهر أنه لا يعرف قيمة جسد ودم الرب، ومثل هذا الجهل يكافئ الجهل بخلاصه. لم يتصرف المسيحيون القدماء هكذا، فقد كانوا يتناولون في كل مرة يُحتفل فيها بالقداس الإلهي، وهو ما نتذكره بالدعوة التي تُكرر في كل قداس: "بخوف الله وإيمان تقدموا!". تشير هذه الدعوة إلى أن جميع أولئك الحاضرين في القداس الإلهي يجب أن يتقدموا للمناولة.

إن وعي عدم نقاوة واستحقاق الإنسان، والرغبة بالاستعداد بشكل أفضل لهذا السر العظيم، أديا إلى ممارسة المناولة (غير المتواترة)، أي ليس بشكلٍ دائمٍ بل في أيام وأوقاتٍ محددة. لكن، ينبغي ألا تُستخدم هذه الممارسة لتأييد كسلنا. ماذا لو قيل أن المنّ سيوزع يوميًا في المكان كذا والمكان كذا؟ أظن أن حشدًا من الناس سيحضر كل يوم للحصول على بعض منه، وإذا ما تطلب الأمر شيئًا من الاستعداد، لاستعدّ كثيرون من أجله كل يوم. ولكن الكنيسة تقدّم جسد ودم الرب بشكلٍ يومي ولا أحد يأتي ليتلقاهم! هل هذه إشارة جيدة؟ هل هو أمرٌ صحّي للنفس أن تنصرف عن الغذاء الروحي؟ ربما لم يكن لدى البعض وقتٌ للاستعداد. ولكن إذا لم يتقدم أحدٌ لتلقي الخبز السماوي فهذا يعني أن لا أحد مستحق، وإذا كان الجميع غير مستحقين، فماذا يمكن أن يقال عن مسيحيّتنا؟ ماذا سيقول الملك عن الخادم الذي يُدعى إلى المائدة كل يوم ويأتي مرة في السنة فقط؟

إذا يا إخوة، بانفصالنا عن الأربعين يومًا المقدسة لا ينبغي أن نفصل عن تلك الوسائل الخلاصية التي تتكون منها (فترة الصوم). تقوم الكنيسة بتجميع هذه الوسائل جميعها معًا في وقتٍ واحد (زمن الصوم) بسبب

ضعفنا وتشئت انتباهنا في أوقاتٍ أخرى. تُرشدنا إلى استخدام هذه الوسائل تحت إشرافها الخاص، لكيما يقوم حتى عديمو الخبرة باستخدامها كما يجب، ولا يتركوها غير مستخدمة طيلة الفترة المتبقية من السنة. ومع ذلك، إذا احتجت في أوقاتٍ أخرى إلى دعوة الكنيسة وإشرافها، فلا تُدرة في ذلك. ليس في الكنيسة صومٌ واحد، بل أربعة، ويمكن لكل صوم منها أن يكون عظيمًا إذا لم تُضعفه بإسرافك؛ وسيتبع كل صوم منها يومٌ القيامة الأكثر إشرافًا إذا ما قُمت من خطاياك عبر التوبة.

هذه هي النصيحة التي شعرت أيها الإخوة أنّ من واجبي نقلها إليكم في نهاية الأربعين يومًا المقدسة. لا تنسوا أيها الأحبة أن حياتنا بأكملها على الأرض يجب أن تكون صومًا. بدون ذلك، لن نصل إلى الفصح "في نهار ملكك الذي لا يغرب أبدًا" (الأودية التاسعة من قانون الفصح)؛ لن ندخل في فرح القيامة.

ما الذي يمكنني قوله لمن أمضوا الأربعين يومًا المقدسة دون أن يعيروها انتباهًا ولم يستخدموها مطلقًا لمداداةٍ جراحٍ ضميرهم؟ لا شكّ وأنكم تشعرون الآن ببعض الكآبة لعدم وفائكم بفرائض الكنيسة؛ من المرجح أنكم لم تتقموها، لا بداعي الازدراء بسلطة الكنيسة (هل يستطيع الأولاد أن يزدروا أمّا تُعنى بغبطتهم الأبدية؟)، بل بالأحرى لأن شهوائيتكم قد استحوذت عليكم. أغرقت سمعكم، ولم تسمح لكم بالسّير في تلك الطرق المقدسة التي أرادت الكنيسة أن تقودنا عليها. الشهوانية والشيطان، إذ حيث هناك إسراف، يكون عدوٌ الله والفضيلة. إنه قاتل، يُبقيكم أسرى بشكلٍ غير مرئي، وهو الآن بلا شكٍ يبتهج ويضحك عليكم كما على فريسته.

ولكن، يا إخوة، هل ترغبون حقًا بأن تكونوا أضحوكةً دائمةً للشيطان؟ كفاه ازدراءً بكم؛ حان الوقت لتزدروا أنتم به! أقول لقد حان الوقت؛ لأنه لا يكون ضعيفًا جدًّا كما في هذه الأيام (التي نقيم فيها تذكارات) آلام الرّب وموته. الآن هو الوقت الأنسب لأولئك الذين قبض عليهم أحياء في شركه ليعملوا مشيئته (تيموثاوس ٢: ٢٦) لكيما ينهضوا من شباكهم. وسوف تقومون إذا سارغتم إلى المشفى الروحي واضعين عنادكم ومرارتكم جانبًا، إذا ما بدأتكم تبكون بمرارةٍ على خطاياكم على مثال القديس بطرس. لقد خانَ (بطرس) المعلم، ومع ذلك فقد كان، لأجل توبته، بين أوائل الذين رأوه بعد القيامة. سيحصل الأمر ذاته لكم إذا ما التفّتم إلى الرب مثلما فعل هذا الرسول!

آمين

Source: St. Innocent of Kherson. It's Time to Abuse the Devil: A Homily for Holy Wednesday. Pravoslavie.Translation by Jesse Dominick. 4/20/2022. <https://orthochristian.com/145772.html>

نصائح عملية في الحياة الروحية

القديس أليكسي ميتشيف

نقلته إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

- احترس لنفسك. إذا كنت تريد أن تعيش حياة روحية - احترس لنفسك. كل مساء تذكر كل الخير وكل الشر الذي فعلته، واشكر الله على الخير وثب عن الشر.
- عندما تُمدح، فيما تدرك نقائصك، يجب أن تكون هذه المدائح قاطعة كالسكين في قلبك مثيرة الرغبة في التحسن.
- انتبه من الأفكار الدنسة.
- إذا جُرِّبت بارتكاب خطيئة، فاسجد أمام سيدتنا مرتين مصلياً: "يا أم الإله الفائقة القداسة، بصلوات والدي أنقذيني أنا الخاطيء". ستنضم روحا والديك إلى روحك في الصلاة.
- كن متيقظاً أثناء قراءة الإنجيل.
- بما أن الصلاة الربية هي اختصار الإنجيل، يجب أن تنتهياً بشكل مناسب قبل أن تقولها.
- إذا صمت جسدياً، ضم روحياً. لا تكن وقحاً أبداً، خاصة مع الشيوخ. إن الصوم على هذا المنوال يتفوق على صوم الجسد.
- اعمل على تنشئة إخوتك وأخواتك الصغار. كن قدوة لهم وتذكر أنه إذا كان لديك أي عيوب، فقد يقلدونها بسهولة. وعليك أن تقدم حساباً للرب عن ذلك.
- فعل الخير واجبنا (ضد العبثية).
- لا ينبغي المباشرة بعمل مستحيل، ولكن إذا قررت القيام بشيء ما، فعليك بكل الوسائل أن تتابعه حتى النهاية. وإلا، فسوف تتخلى عنه مرة، اثنتين، ثلاث مرات، وتتساءل لماذا فعلت أي شيء أصلاً طالما أن كل شيء هو باطل. إن الثبات في الخير ضروري للنمو الروحي.
- لا تعامل الإنجيل أبداً ككتاب عرافة. إذا طرأ سؤال مهم فاطلب المشورة من شخص أكثر حكمة.
- يجب أن تدخل في جو الصلاة قبل قراءة الإنجيل.
- كن أكثر صرامة في صومك الروحي؛ أي تعلم أن تضبط نفسك، وأن تستكين، وأن تكون وديعاً.
- إذا رأيت شيئاً شريراً من حولك، انظر إلى نفسك فوراً، فقد تكون أنت المسبب. إذا أثقلت عليك الأفكار الشريرة، خاصة في الكنيسة، فعليك أن تدرك أمام من تقف، أو افتح روحك وقل: "ساعديني أيتها السيدة".
- إذا كنت منزعجاً من بعض الأفكار (الناجمة عن قلة الإيمان، إلخ) فصل في ما تقبل أيقونة مقدسة إلى أن تزول الأفكار.
- يجب أن تعتبر نفسك أسوأ شخص على الإطلاق. إذا كنت تريد أن تفقد هدوءك، أو أن تنتقم، أو أن تفعل شيئاً آخر، فسوف تخسر نفسك عاجلاً. يجب علينا تخليص أنفسنا والآخرين. يجب أن تراقب نفسك

- وأن تكون متسامحاً مع الآخرين، متفهماً إياهم لكي تعاملهم على النحو الذي يتطلبه وضعهم ومزاجهم وطبعهم. على سبيل المثال، رجل عصبي، غير متعلم، قد يطلب الهدوء من شخص ما، والرقعة من شخص آخر، وغيرهما من شخص آخر. لكن هذا حماقة، لذا علينا أن نحفظ أنفسنا على نحو كامل.
- إذا ثارت عليك أي أفكار متأتية من نقص الإيمان، خاصة قبل المناولة، قل على الفور: "يا رب، أو من، أين عدم إيماني."
 - أما عن الاعتراف المكتوب، فلا يكفي أن تكتب كل خطاياك وتتوقف عند هذا الحد بدون أن ينتج عن ذلك شيء. من الضروري أن تبغض خطاياك، وأن تحترق الخطايا كلها من الداخل، من داخل قلبك، عندما تبدأ في استذكارها - عندها فقط تصبح الخطيئة بغيضة ولا تتكرر، وإلا فإنك تعود إلى كل ذلك مجدداً. وماذا لو نسيت خطاياك؟ ما يؤلم لا يمكن نسيانه. إذا كان مكان ما مؤلماً، لا يسعني إلا أن أعرف أنه موجود.
 - عليك دائماً أن تقول الحقيقة. إذا كان أحد يرغمك على الكذب فعليك التحدث إليه، وبذل قصارى جهدك لإنقاذه من هذه الخطيئة، على سبيل المثال: "لم أكذب قط ولن أفعل، وإذا كنت في حاجة ماسة لهذا الأمر (لكي أكذب)، قد أفعل ذلك فقط إذا كنت تتحمل المسؤولية"، وما إلى ذلك.
 - لا ينبغي أن تدين الآخرين. إذا قُدّم لك طعام غير صيامي في يوم صوم في منزل ما، لا ينبغي عليك الازدراء والرفض. عند عودتك إلى بيتك، يمكنك تعويض ذلك بصوم جسدي أكثر صرامة، أو بصوم روحي أفضل: أي تجنّب الغضب، وتجنّب اللوم وما إلى ذلك.
 - يجب أن تتبع دائماً قاعدة واحدة: إذا كان لديك ما تفعله - تذكر أولاً ما كان ليفعله يسوع المسيح (في نفس الموقف) وليكن ذلك مرشداً لك في كل ما تفعله. وهكذا، فإن كل ما هو رديء وخاطئ سوف يتركك شيئاً فشيئاً.
 - ليس هناك من بركة أبداً لقول ما قد يثير شائعات عن أشخاص آخرين. من ناحية أخرى، من واجبنا قول الأشياء المفيدة والبثاءة.
 - إذا كنت تعيش بما يتوافق أكثر مع العقل والأفكار ولم يتطور قلبك، فعليك العمل على ذلك: تخيّل نفسك مكان الآخرين.
 - لو كان الخلاص شيئاً سهلاً، لكننا جميعاً قد أصبحنا قديسين بالفعل.
 - يجب أن نتعامل مع الأشخاص من حولنا بكل اهتمام ممكن وليس بلامبالاة، وبعد أن يرى الرب اهتمامنا يهتم هو بنا أيضاً.
 - في الكنيسة، ابتعد عن الذين يحبون الثرثرة.
 - الرب القائم يطلب قيامتنا.
 - لا تتجاسر أبداً على التكبر. ليس هناك ما يدعو للفخر. إنك ترى الجزء الواحد بالمئة الذي ساهمت به، ولا ترى الأجزاء التسعة والتسعين الأخرى.

St. Alexei Mechev. No Impossible Deed Should Be Undertaken: Advice of the Elder Alexiy Mechev. Pravmir. 23 July 2008. From The Good Shepherd, Moscow, 2000. Translated by Ekaterina Baburina.

القديس أفمانايوس ساريداكيس: الصديق الإلهي للبرص تجميع أسرة التراث الأرثوذكسي

في جلسة المجمع المقدس يوم الخميس ١٤ نيسان ٢٠٢٢، أعلنت البطريركية المسكونية ضمّ القديس أفمانايوس ساريداكيس، الصديق الإلهي للبرص، إلى لائحة قديسي الكنيسة الأرثوذكسية. كان المؤمنون قد قبلوا القديس قبل ذلك، وإعلان قداسته كان مسألة وقت ليس إلا. حُدّد عيده في الثالث والعشرين من أيار.

وُلد الشيخ أفمانايوس بإسم قسطنطين ساريداكيس، في الأول من كانون الثاني ١٩٣١ في قرية أثيا الكريتية، لعائلة مؤمنة. والداه هما جورج وصوفيا ساريداكيس. هو الطفل الثامن والأخير في هذه الأسرة الفقيرة التي فقدت معيها في وقت مبكر. بالكاد سمحت سنوات الاحتلال النازي الصعبة في اليونان لقسطنطين تحصيل التعليم الابتدائي. ومع ذلك، فقد كان صبيّاً بارزاً ليس فقط لذكائه بل لتقواه أيضاً.

يروى الشيخ حدثاً من العام ١٩٤٤ قرر على إثره أن يصير راهباً. ويختم بقوله: "إذا كان الإنسان مدعواً من الله إلى شيء صالح، فالله يعمل ويعينه". في عام ١٩٥١، دخل قسطنطين ساريداكيس إلى دير على اسم النبي إيليا، غير بعيد عن قريته. كان في هذا الدير، إلى جانب رئيسه، راهبان مسنّان وأعميان، خدمهم الشاب المبتدئ بمحبة كبيرة. بعد ثلاث سنوات، سيم قسطنطين راهباً وأعطى اسم صفرونيوس.

في عام ١٩٥٤، انضم الراهب صفرونيوس إلى الجيش، التزاماً بقوانين اليونان التي كانت تتطلب الخدمة الإلزامية في ذلك الوقت. كما في الدير، لم يأنف الراهب الشاب القيام بأي نوع من الأعمال، مُظهراً الاحترام والطاعة لرؤسائه، وفي الوقت نفسه سعى إلى حفظ واجباته الرهبانية أيضاً. لكن الراهب صفرونيوس تعرّض في الجيش لتجربة عظيمة حيث أصيب بحمى لم تكن تنخفض على الرغم من كل جهود الأطباء. نُقل الراهب المجتهد إلى تسالونيك في حالة خطيرة، وهناك وجدوا أن السبب الرهيب لهذا المرض الغريب هو البرص (الجذام)! شكر صفرونيوس الربّ على هذا الصليب الثقيل. نُقل الراهب المريض إلى مستشفى البرص في أثينا، في ضاحية القديسة بربارة. هناك، لحسن حظه، نجح العلاج وتعافى تماماً. ولكنه بعد أن تذوق مرارة ذلك المرض الرهيب، قرر البقاء في ذلك المستشفى وخدمة الذين يعانون. كان هناك أكثر من خمسمائة مريض في المستشفى! أعطت إدارة المستشفى الراهب كوخاً صغيراً بالقرب من كنيسة المستشفى التي على اسم القديسين كوزما وداميانوس. هناك قضى صفرونيوس بقية أيامه في مستشفى البرص بأعمال نسكية روحية ورعاية البرص المطروحين في الفراش، وفي خدّم الكنيسة.

لقد كانت نعمة عظيمة للأب صفرونيوس أن يلتقي بالقديس نيكيفوروس الأبرص الذي كان قد أصيب بهذا المرض منذ صغره وقضى ثلاثاً وأربعين عاماً في مستشفى البرص في جزيرة خيوس، بالقرب من القديس أنثيموس. وكان القديس نيكيفوروس راهباً ناضجاً يتمتع بحياة روحية عالية، مع أن جسده كان في حالة سيئة للغاية. لذا، في عام ١٩٥٧، كان لا بد من نقله إلى مستشفى البرص في أثينا للحصول على رعاية خاصة لأنه كان بالفعل قد عمي وكان شلله يزداد ببطء.

عندما وصل القديس نيكيفوروس إلى مستشفى البرص في أثينا، كان الراهب صوفرونيوس حاضراً للترحيب به، إذ كان قد تلقى رسالة من القديس أنثيموس يقول فيها: "أيها الأب صوفرونيوس، ترسل لك السيدة (الباناييا) كنزاً. لا يزال راهباً مبتدئاً، لكنه أكثر شبهاً بالراهب الأكثر كمالاً. سيعلمك طريق القديسين الأكيد. اخذمه، وكل مواهب الروح التي لديه، سوف يمنحك الله إياها أيضاً".

كان القديس أنثيموس يحاول أن يُظهر للراهب صوفرونيوس أن عليه أن يعتني بالقديس ويحتضنه حتى يرث هذه المواهب الروحية. من تلك اللحظة قبل صوفرونيوس الراهب الأبرص والأعمى نيكيفوروس. كان له ممرضاً، وطباخاً، فكان يغسله، ويساعده على ارتداء حذائه، ويرشده إلى الكنيسة، ويوجهه إلى القزاية - كان يده اليسرى واليمنى، وقدميه وعينيه. كان مطيعاً له في كل شيء، مدرّكاً أن الله قد أرسل له ملاكاً ليعلمه الحياة الروحية. في أحد الأيام، وكان قد صار "الشيخ آفمانيوس"، أخبر تلميذه نيوفيتوس على انفراد، "أنت تعرف يا بني، اضطررت لمغادرة ديري في كريت في سن مبكرة فلم يكن لدي من يعلمني الحياة الروحية. أردت بشدة أن يكلمني أحدهم عن الصلاة الداخلية، ويعلمني طرقاً محددة للتوبة. لذلك أرسل لي الله الشيخ نيكيفوروس". صار القديس نيكيفوروس الأب الروحي لصوفرونيوس حتى رقاذه عام ١٩٦٤. اعتنى صوفرونيوس بالقديس بمحبة عظيمة إلى آخر أيامه.

في عام ١٩٧٥، سيم الراهب صوفرونيوس كاهناً باسم آفمانيوس وكان له من العمر أربع وأربعون عاماً، وأصبح الأب المعرّف لمستشفى البرص، الذي كان قد تحوّل إلى مستشفى الإصابات الحادة.

عاش الأب آفمانيوس أكثر من نصف قرن في كوخه المتواضع قرب المستشفى، خادماً الله والناس بلا توقف، متقبلاً الاعترافات، خادماً للمذبح المقدس، مؤاسياً ومقدماً المشورة في المواقف المعقدة، صانعاً المعجزات، وشافياً الأمراض الروحية والجسدية. حافظ الشيخ آفمانيوس على حياة رهبانية داخلية صارمة، لكنه كان دائماً على استعداد لخدمة الآخرين: زيارة المصابين بالإيدز، والصلاة في المنازل، والتواجد مع الناس. لم يكن خاملاً ولا منطوياً، لا بل أتاح له يقظته بعض الحرية كما يكتب القديس بولس "حيث رُوح الرب هُناك حُرِّيَّة" (٢ كورنثوس ٣:١٧). على الرغم من الأمراض الصعبة التي عانى منها، إلا أن الابتسامة لم تترك وجهه أبداً، ومحبته اللامحدودة له ولكل الناس كانت تشرق في عينيه. بحسب شهود العيان، فإن معرفة ما سيأتي، وعمل المعجزات، ورؤية القديسين كانت كلها أعمالاً عادية في سيرة الأب آفمانيوس. وبالرغم من مواهب الروح القدس المفعمة بالنعمة التي تمتع بها، نجح الأب آفمانيوس بالاختباء خلف جدران المستشفى.

كان القديس بورفيروس الكافسوكاليفي يذهب أحياناً إلى الأب آفمانيوس للاعتراف، وقد سمّاه "القديس الخفي في أيامنا هذه". كان القديس بورفيروس يرى في الشيخ آفمانيوس بطلاً وقديساً سرياً في أثينا يخفي مواهبه عن الآخرين. وقد قال عنه القديس بورفيروس ذات مرة: "إنه قديس. إنه يصلي إلى الله ألا ينكشف للآخرين ولكن، في آخر حياته سوف ينكشف".

بعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفياتي، قام الأب آفمانيوس وابنه الروحي، نيوفيتوس مطران مورفو (قبرص)، برحلة حج إلى كييف وموسكو وسانت بطرسبورغ، حيث كرم قبر القديس يوحنا كرونشتادت. يخبر

الميتروبوليت نيوفيتوس أن الشيخ أفمانيوس كان يقوم كل يوم بكل الخدم وكانت تستغرق أحياناً خمس ساعات. كان كثيرون يقولون له "أنت الأب نيكولاس بلاناس الجديد!" الذي كان معروفاً بقضاء الكثير من الوقت في الخدم، فيجيب: "باه! كان قديساً. أنا لست قديساً". كان يخدم الآخرين طوال اليوم ويعزّيهم ويهتم بهم، ليس فقط المصابين بالبرص وحسب، بل كان يذهب إلى منازل العديد من الأشخاص الذين يدعونه إلى إقامة الباراكليسيات وخدم الزيت والمسحة المقدسة.

بعد العودة إلى أثينا من روسيا، ساءت صحة الشيخ أفمانيوس: مرض السكري، وضعف الرؤية، مشاكل الكلى والساقين التي اقترح الأطباء بترهما. ورغم أنه قضى السنوات القليلة التالية في محاربة الموت، إلا أنه لم يقطع أبداً خدمته الرعائية التي تمثّلت في استقبال سبل لا ينتهي من الناس. في عام ١٩٩٢، تقديراً لخدمته للكنيسة، مُنح الأب أفمانيوس رتبة أرشمندريت. في عام ١٩٩٩ تم إدخاله إلى مستشفى البشارة "Evangelismos" في أثينا، حيث أسلم روحه في ٢٣ أيار. دفن الشيخ المبارك في قريته أثينا. بعد رقاذه وإلى أيامنا هذه، بصلوات وشفاعة الشيخ المبارك أفمانيوس، يصنع الرب العديد من معجزات الشفاء والتعزية الروحية للمرضى والمتألّمين.

مثل كثيرين قبله، لم يخف الشيخ أفمانيوس مواهبه كمن يضع سراجاً تحت مكيال (متى ١:٦) بل كان ذلك هرباً من مديح الناس. لكن في زمن الله، تظهر هذه الأعمال الحسنة مشرقة أمام الناس فيمجّدوا أبانا الذي في السماء (متى ١٦:٥).

يعلّق الميتروبوليت نيوفيتوس مطران مورفو على حياة القديس أفمانيوس: "لكي نفهم وندرك طبيعة ومدى قداسة شخص ما قد أخفى نفسه بجد، علينا أن نبحث حقاً عن ماضيه، وخاصة عن جذوره الروحية، لتحديد المكان الذي بدأ فيه صراعه من أجل التوبة، حيث بدأت رحلته نحو الحياة في المسيح. على سبيل المثال، عند الشيخ أفمانيوس، لدينا سلسلة غير منقطعة من القداسة: وراء قداسة الشيخ أفمانيوس ساريداكيس توجد قداسة الشيخ نيكيفوروس الأبرص. خلف القديس نيكيفوروس توجد قداسة القديس أنثيموس الذي في خيوس، والد البرص، الذي كان إلى جانب القديس باخوميوس الذي من خيوس، ابناً روحياً للقديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس. بهذه الطريقة يمكننا أن نفهم بشكل أفضل الروحانية المواهبة للشيخ أفمانيوس بالإشارة أولاً إلى أصله الروحي، أي شخص القديس نيكيفوروس الأبرص الموقر".

فلتكن شفاعته معنا.

Sources:

- Gevorg Kazaryan. Elder Eumenios (Saridakis), the Saint From the Leper Colony. Pravoslavie. 7/5/2018. <https://orthochristian.com/114159.html>
- Στίς Αγιολογικές Δέλτους της Εκκλησίας ο Πατήρ Ευμένιος Σαριδάκης· Ο κρυφός άγιος της εποχής μας († 23 Μαΐου 1999). 14 Απριλίου 2022. Πεμπτουσια. <https://www.pemptousia.gr/2022/04/patir-evmenios-o-krifos-agios-tis-epo/>
- Μητροπολιτου Μορφου Νεοφυτου, Ομιλιες, Τομος Β΄. Λογοι Εμπειρικης Θεολογιας Αγιων Πατερων Και Μητερων. Εκδόσεις Θεομόρφου. Ιερα Μητροπολη Μορφου. 2022.



طوبارية القديس آفمانيوس الجديد

لنكرّم نحن المؤمنين آفمانيوس،
المولودَ في كريتَ
الذي لَمَعَ في أثينا،
تلميذَ نيكيفوروس الإلهي،
والكاهنَ العظيم،
العجائبيِّ والخادمَ البرص،
إذ إنه يمنح الأشفية للصارخين إليه بتوقيرٍ:
المجدُ لِمَن وهبك القوة،
المجدُ للذي توجَّك،
المجدُ لِمَن قدّسك إلى الأدهار.

نظم: أندرياس خاتزيستيليس
نقلها إلى العربية: الأب أنطوان ملكي
صَبَطَ لحنها: الياس رزوق

السمة العلاجية للأرثوذكسية

الميتروبوليت ييروتثيوس فلاخوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

أنا مفتبب بهذا الاجتماع مع قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس، وزملائي المتحدثين المتميزين الكرام، والمشاهدين الأعزاء اليوم، يوم أحد الأرثوذكسية، وأود أن أعتنم هذه الفرصة للصلاة لإله آبائنا أن يباركنا ويبقينا في الكنيسة الأرثوذكسية.

هذا مهم، لأن الأرثوذكسية ليست عقيدة مجردة، بل هي حياة المسيح التي تُعاش في الكنيسة. الأرثوذكسية هي المجد الحقيقي للكنيسة وإيمانها، لذلك ترتبط الأرثوذكسية ارتباطاً وثيقاً بالكنيسة والإفخارستيا الإلهية. اقترح عليّ المنظمون التحدث عن موضوع "السمة العلاجية للأرثوذكسية"، وقد سررت بقبول ذلك، لأنني أعلم أنه ضمن الكنيسة الأرثوذكسية، نحن نُشفى على يد طبيب النفوس والأجساد الحقيقي، أي المسيح، وهذا يتم عبر الأسرار والنسك المسيحي، من خلال اللاهوت وتقليد اليقظة الروحية الهدوئي.

يتضح هذا من حقيقة أن الآباء قرروا أن نحتفل اليوم برفع الأيقونات المقدسة، ما هو بعبارة أخرى "لاهوت الأيقونات المقدسة"، ومن حقيقة أننا نحتفل يوم الأحد المقبل، كاستمرارٍ لاحتفال اليوم، بالقديس غريغوريوس بالاماس، الذي علّم عن الاشتراك في نعمة الله غير المخلوقة وعن الهدوئية المقدسة. في التحليل الأخير، ليس شفاء البشر شيئاً نفسياً أو دينياً، بل هو لاهوتي بشكل لا نزاع فيه. إنه تحول قوى النفس، بحيث تتطور من التصرف على عكس الطبيعة إلى التصرف بحسب الطبيعة وفوق الطبيعة. يتحقق ذلك من خلال أسرار الكنيسة مدموجةً مع النسك المسيحي. إنه تقدم الإنسان من صورة الله إلى شبهه، بحيث تتحول محبة الذات إلى محبة لله وللناس الآخرين.

لقد فضلت هذا في العديد من الكتب والأحاديث، لكنني اليوم سأعبر عنه من خلال "سينوذيكون الأرثوذكسية" الذي يُقرأ يوم أحد الأرثوذكسية في الكنيسة، كله أو أجزاء منه، والذي يوضح من ناحية أن الأرثوذكسية هي المسيح الحي، بينما يظهر من ناحية أخرى أن العلاج هو الإنسان حياً في المسيح.

١. "سينوذيكون الأرثوذكسية"

ينقسم "سينوذيكون الأرثوذكسية" إلى قسمين كبيرين. يضمّ الأول قرارات المجمع المسكوني السابع (٧٨٧)، التي أرسلت لاهوت الأيقونات المقدسة وحددت السياق اللاهوتي الكامل الذي ينبغي أن يكرم فيه المسيحيون الأيقونة. أما القسم الثاني فيضمّ بعضاً من قرارات المجمع المسكوني التاسع (١٣٥١) في زمن القديس غريغوريوس بالاماس، والتي حدّدت أن نور الله غير مخلوق وأن شرط المشاركة في هذا النور هو الهدوئية المقدسة، أي حياة اليقظة الروحية.

يضع قسماً "سينوذيكون الأرثوذكسية" هذان الأسس اللاهوتية والكنسية للعلاج من منظور الكنيسة الأرثوذكسية.

إن المحور المركزي لقرار المجمع المسكوني السابع هو ابن الله وكلمته، الذي بتجسده شفى الطبيعة البشرية كلها، لأن "ما لا يُتَّخَذُ لا يُشْفَى"، بحسب القديس غريغوريوس اللاهوتي. للمسيح الإله-الإنسان طبيعتان متحدتان في أقنومه. إنه يجمع المخلوق مع غير المخلوق، المنظور بغير المنظور، المحصور مع غير المحدود. تنطبق غير المخلوقية على الجوهر الإلهي، وينطبق الخلق على الطبيعة البشرية. وهذا ما نعترف به "بالكلمة والصورة". أي أننا نؤمن ونعلن "الأقوال بالكتابات والأفعال بالصور" والخير يأتي من إعلان الله بالكلمات وتأكيد الحقيقة من خلال الأيقونات.

لذلك فإن سر تجسد الابن وكلمة الله يتأكد بالكلمات اللاهوتية التي علّم بها الآباء الذين عاينوا الله، وبالأيقونات المقدسة التي رسمها رسامو المقدسون. علاوة على ذلك، "بما أن الأيقونات المقدسة تُقدّس عيون من ينظرون إليها، فهي تقود النوس إلى معرفة الله"، تماماً كما يتم في بناء الكنائس المقدسة، والأواني المقدسة وسائر الذخائر المقدسة.

إن الكلمات اللاهوتية والأيقونات المقدسة ترفع النوس إلى معرفة الله. بعبارة أخرى، تشفى الإنسان، كما يؤكد تقليد الكنيسة عبر القرون. لهذا السبب، يشير المجمع المسكوني السابع إلى التقليد المكتوب وغير المكتوب الناشئ عن معانيات الأنبياء وتعليم الرسل والآباء، أي من توافُق الخبرة واللاهوت بين الأنبياء والرسل والآباء. من ثم كان المحور المركزي لقرار المجمع المسكوني التاسع هو تعليم القديس غريغوريوس بالاماس، الذي تخلّص من معتقدات برلعام وأكيندينوس الخاطئة. بحسب هذا القرار، لم يكن النور الذي أشرق في التجلي الإلهي ظهوراً مخلوقاً، ولم يكن جوهر الله، بل كان النعمة والإشراق والقوة غير المخلوقة والطبيعية التي تنبثق "بشكل أبدي وغير منفصل ... من جوهر الله". للمسيح الإنسان-الإله قوتان، إلهية وبشرية، لكن الجوهر الإلهي لا يمكن مشاركته، في حين أن القوة الإلهية قابلة للمشاركة. يتكشّف مجد المسيح "بمحبة الله للبشرية لمن تظهر نوسهم".

يتضح من هذا أن المسيح هو إله حق من إله حق، ولكنه أيضاً إنسان، وبتجسده شفى الطبيعة البشرية التي اتخذها من والدة الإله الفائقة القداسة. من ذلك الحين، كل الذين نوسهم طاهر يعاينون بنعمة الله مجد الله ويشفون بطرق مختلفة.

هذه النقاط واردة باختصار شديد في "سينوذيكون الأرثوذكسية" الذي نقرؤه يوم أحد الأرثوذكسية، وهي تشكل أسس العلاج الأرثوذكسي، الذي يختلف عن أي علاج آخر، سواء كان مسيحياً أو دينياً أو نفسياً.

٢. من الكون في الصورة إلى الكون في الشبه

كما سبق ذكره، عندما نتحدث عن العلاج في الكنيسة الأرثوذكسية، فإننا نعني تطور الإنسان من صورة الله إلى شبهه، حيث أن صورة الله هي حقيقة معطاة وشبهه هو تطورها: إنها التألّه والاتحاد بالله. لا يُفسّر كون الإنسان على الصورة والشبه فلسفياً أو اجتماعياً، بل لاهوتياً، إذ نرى الأمر في البشر قبل السقوط، حيث كانوا في نور الله، وكان من المفترض بهم أن يستقروا في هذه الحالة وأن يتطوروا أكثر. لكنهم، بسبب الخطيئة، فقدوا الشبه الإلهي ومجد الله، وأظلمت صورة الله وحُجبت. حسب كلمات الرسول بولس "الجميع

أخطؤوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣).

أقام ابنُ الله وكلمته بتجسده "الصورة" التي سقطت منذ القديم"، وأظهر جمالها الأصلي. هذا استبان بوضوح في تجلي المسيح على جبل طابور. كما نرتل في الكنيسة، أظهر المسيح على جبل طابور الجمال الأصلي للصورة. المسيح "...تجلى أمامهم مظهراً لهم بهاء جمال العنصر الأول" (طروبارية من ليتين الغروب في عيد التجلي). كان هذا إذن هو جمال الصورة في البشر، وكان ينبغي أن يصلوا إليها بالاتحاد بالمسيح. هذا ما نص عليه "سينوذيكون الأرثوذكسية" كما رأينا سابقاً.

بما أن "سينوذيكون الأرثوذكسية" يحيي ذكرى لاهوت القديس غريغوريوس بالاماس، وبما أن الكنيسة ترغب في لفت الانتباه بشكل خاص إلى هذا في يوم أحد الأرثوذكسية، فقد وضعت أيضاً يوم الأحد الثاني من الصوم الكبير، كاستمرار ليوم أحد الأرثوذكسية، لأب الكنيسة العظيم القديس غريغوريوس بالاماس. سأعرض الآن تقدم البشر من صورة الله إلى شبهه، وهو ما يشكل علاجهم بحسب تعليم الكنيسة، كما تم التعبير عنه في كتابات القديس غريغوريوس بالاماس.

تكلم برلغام عن كيفية تقدم الناس من الكون في الصورة إلى الشبه وفقاً للنماذج الأفلاطونية. وعليه، أكد أن المبادئ الداخلية للأسرار الطبيعية موجودة في النوس الإلهي المبدع والأول، في حين أن صور المبادئ الموجودة في ذلك النوس موضوعة في نفوسنا. هذا هو سبب سعيينا جاهدين لفهم هذه المبادئ الداخلية وتخليص أنفسنا من كل أنواع الجهل من خلال أساليب التباين والتفكير القياسي والتحليل، وبهذه الطريقة نتوافق مع شبه الخالق، سواء أثناء وجودنا على قيد الحياة أو بعد الموت. هذا ما أكدّه برلغام. لكن القديس غريغوريوس بالاماس في دحضه لهذه الطريقة العلاجية الفلسفية الأفلاطونية، كتب أن المعرفة التي تبحث عن صورة الله في الحكمة الدنيوية هي "معرفة زائفة"، لأن الخطيئة شوّهت النفس. بالتحديد، كتب أن الجزء القابل للتجربة من النفس ارتكب الشر وأفسد قوى النفس، وأربك بصيرتها (النوس)، ووضعها بعيداً عن جمالها الأصلي.

هذا يعني أن كل مَنْ يريد أن يحصل على الصورة الإلهية السليمة ومعرفة الحقيقة يجب أن ينتبه قبل كل شيء إلى بصيرة النفس والنوس، ويمتنع عن الخطيئة، ويقرأ ناموس الوصايا بممارستها واكتساب كل فضيلة، والعودة إلى الله بالصلاة والتأله الحقيقي. فقط من خلال التطهر يكتسب المرء حكمة الله التي تغلب العالم ويعيش بفرح مع الله الحكيم الوحيد.

وبالتالي، لقد شوّهنا قوى نفسنا من خلال الخطيئة، وأصببت بصيرة نفسنا بالتشوش. لهذا السبب، بالحياة في المسيح بكاملها (حفظ الوصايا والصلاة)، يكتسب المرء الصورة الإلهية سليمة، ويكتسب المعرفة الصحيحة ويصل إلى التأله، بمعنى آخر، إلى أن يكون على شبه الله.

في نص موحى به من الله، عنوانه "إلى الراهبة كسانيا الفائقة الورع"، يصف القديس غريغوريوس بالاماس بمزيد من التفصيل هذا المنهج العلاجي، وهو تطهر الصورة الإلهية في البشر، وتطهر النوس الثاقب البصيرة، والتقدم نحو شبه الله. ويناقش القديس في هذا النص الأهواء والفضائل وثمار هدوئية النوس.

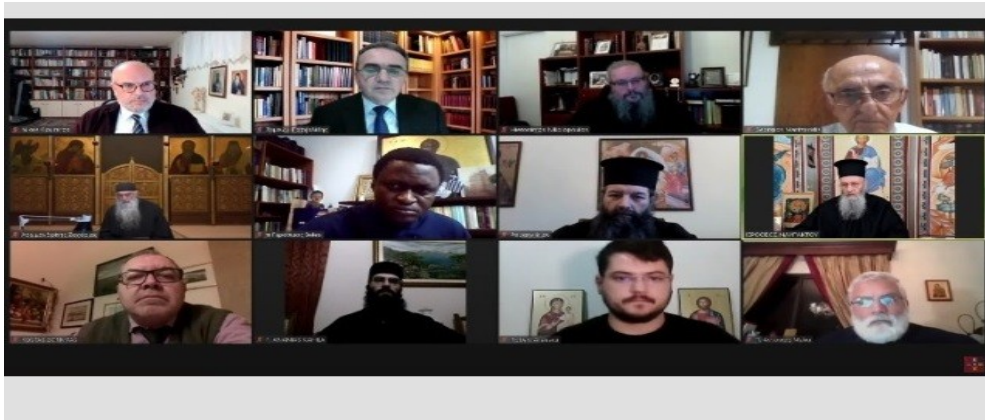
يتكلم في هذا النص عن حياة النفس التي هي اتحادها بالله؛ موت الروح الذي هو الافتراق عن الله؛ الأهواء؛ شفاء النفس ذات الأجزاء الثلاثة؛ وفقر الروح الذي يوحد النوح والعزاء من الله. يحدث هذا عندما ينسحب النوس من كل الأمور المادية، ويراقب إنسانه الداخلي، ويرى "القناع القبيح" الناتج عن التسكع في الخارج. ثم يسعى الإنسان جاهداً لغسله (القناع) بالنوح. بمجرد إزالة هذا "القناع القبيح"، تصلي النفس في بيت الكنز الداخلي، وبعد ذلك يمنح الله سلام الأفكار وكل هدايا الخطبة الروحية وتصبح الروح عروس الله، مطهرة من كل فكرة وخيال، وتقف صماء وبكماء أمام الله. يتلقى الجسد المتحد بالنفس أيضاً رموزاً للجمال الإلهي. يكتسب حالة مستقرة من الفضيلة، فيما لا يبقى للجسد سوى ميل ضئيل أو معدوم للخطيئة. من ثم يفهم الإنسان حقائق تتجاوز الطبيعة ويتلقى العديد من مواهب النعمة من الله، كعقل المعجزات ونفاذ البصيرة وبعده النظر.

ولذلك، فإن لتطويبات المسيح الأولى أهمية كبيرة: "طوبى للفقراء بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات" و"طوبى للحزاني فإنهم يُعزَّون" (متى ٥:٣-٤).

ختاماً لهذه المساهمة القصيرة، أود أن أؤكد في النهاية أن يوم أحد للأرثوذكسية، كما هو مُعَبَّر عنه في "سينوديكون الأرثوذكسية"، يُظهر أن ابن الله وكلمة الله هما صورة الآب غير المنظور (كولوسي ١:١٥). لقد أصبح إنساناً وأظهر لنا مجد الله وخزينا بسبب الخطيئة. ومن خلال حياتنا في الكنيسة، التي هي جسده المجيد، نشفى: من كوننا على صورة الله نصير على شبهه.

هذا هو مضمون العلاج الكنسي واللاهوتي: أن الصورة الإلهية التي فينا تتطهر وتنطلق نحو الشبه الإلهي. وهذا ما يميز العلاج الأرثوذكسي عن أي نوع آخر من العلاج النفسي والديني.

Source: 'Οθεραπευτικός χαρακτήρας της Ορθοδοξίας, Μητροπολίτου Ναυπάκτου καὶ Ἀγίου Βλασίου Ἱεροθέου. (Ομιλία στὴν Διαδικτυακὴ Θεολογικὴ Σύναξη ποὺ διοργάνωσαν τὸ ἱνστιτοῦτο Ἅγιος Μάξιμος Ὁ Γραϊκος καὶ ἡ Πεμπτουσία τὴν Κυριακὴ τῆς Ορθοδοξίας 21 Μαρτίου 2021). <https://parembasis.gr/index.php/el/6781-2021-03-21-gr>



عن آلام المسيح وكتاب أيوب

الشماس بافل سيرزانتوف

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يتكشّف العهد القديم في العهد الجديد. يكشف سفر أيوب عن معناه بطريقة مدهشة. يُقرأ هذا السفر في خدم الكنيسة خلال الصوم الكبير. يهيئنا هذا الكتاب للقاء المسيح المتألم والقائم من بين الأموات. ماذا يخبرنا العهد القديم؟ يخبرنا عن العلاقة المتبادلة بين الله والإنسان، هذا تمامًا ما تفعله جميع كتب العهد القديم. الرب يسود العالم، يكافئ الصالحين ويعاقب الخطاة. ولكن، كما نرى في سفر أيوب، ليست كل ضائقة عقاباً على خطيئة.

نقرأ في الكتاب المقدس عن اختبار أيوب للعبات المرهقة على شفا الموت، فيما أصدقائه يحثونه على التوبة لوقف عقاب الله. لا يرى أصدقاء أيوب أنه يقبل العذاب بسبب خطايا السرية، ولا أن المحرض على كل هذه المعاناة هو الشيطان الذي يحسد الله ويكره عبده. إن أيوب يصارع الشيطان. يقبل المسيح الآلام كما قبلها أيوب، لا لنفسه ولا من أجل آثامه. لقد صُلب المسيح من أجل خطايا الآخرين.

لقد شغل أيوب منصباً رفيعاً وكان محاطاً بالاحترام، ثم فقد كل شيء، أولاده وصحته وممتلكاته، وكان ملقى في المرارة منبوذاً من المجتمع البشري خارج بوابات المدينة (أيوب ٨:٢). وعندما بدأ أن كل شيء قد انتهى، أعاد الرب إلى أيوب كل ما كان قد فقده، وأطال حياته لسنوات عديدة أخرى. على المنوال نفسه، مات ربنا يسوع المسيح خارج سور أورشليم. من ثم قام إلى الحياة الأبدية، وهو يعطي حياة جديدة لكل من يؤمن به. في سفر أيوب، ينخرط الخير والشر في حرب لا مصالحة فيها. تظهر قوة الشر جبروتاً عظيماً، لكن قوة الخير تستبين كلية القدرة. إن الله كلي القدرة بالمعنى الكامل للكلمة، لذا فإن خادمه أيوب يجد أيضاً قوة روحية كبيرة ويهزم الشيطان.

هناك مواجهة بين الله والشيطان، لكنها مواجهة بين قوى غير متكافئة. مهما كان الشيطان قوياً فالله أقوى. الشيطان مُجبر على الخضوع لله رغماً عنه؛ ليس في كل شيء، لكن في بعض الأشياء عليه أن يخضع لله. نحن نعلم أن الله أسمى من كل الملائكة؛ فالخالق أسمى من كل مخلوقاته.

ينشأ جدال بين الله والشيطان حول أيوب الصديق: لماذا يصمد أيوب مخلصاً لله؟ هل هذا فقط لأن الله يظهر رحمته لأيوب؟ هل سوف يستمر أيوب في مباركة مصيره وإلهه إذا حلت به كارثة حقيقية ولم يأت به أي عون من فوق؟ خسر الشيطان هذا النقاش. لكن من ربح؟ الله. من دون أن ننسى أن رجل الله أيوب هو أيضاً ربح هذه النزاع. انتصر على الشيطان وبقي مع الله مهما حدث.

من بعيد، قد يبدو الأمر هكذا: السادة يتقاتلون أما العبيد فيرتجفون. الله والشيطان يتجادلان، بينما يتعرّض أيوب الصالح وعائلته للدمار بدم بارد. "لقد تراهنوا على أيوب." هل حقاً كان الوضع على هذا المنوال؟ لا ليس كذلك. لم يكن أيوب قطعة نقدية في مقامرة شخص ما. لم يكن هؤلاء مقامرین أقوياء يقومون بتصفية

الحسابات، مستخدمين الأحياء كوسيلة لإثبات تفوقهم. لا يلعب الله بمصير الإنسان، وهو يحد من حرية الشيطان في الحركة. لا يسمح الله للشيطان أن يلعب من أجل المتعة. بالنسبة لله، ليست المعاناة البشرية لعبة. في النهاية، هو جاء بنفسه إلى الأرض وقبِل الألام. لقد وقف مكان إنسانٍ متألّم هالكٍ إذ ذاك. هاجمه الشيطان أيضاً والمسيحُ هزم الشيطان.

يعتبر المسيحيون أن سفر النبي يونا هو نبوءة من العهد القديم عن المسيح. كذلك هم يعترفون بكتاب أيوب على هذا النحو.

لقد رفعت قوى الشر السلاح ضد المسيح وأيوب. ومما زاد الطين بلة، أن "الناس الطيبين" تقدموا بتوبيخهم، وخطبهم الطويلة المليئة بالتقوى السطحية. جاء أصدقاء أيوب إليه بنية موآساء رجل مريض. رأوا وضعه المحزن بأم أعينهم وفي البداية التزموا الصمت احتراماً. ثم بدؤوا حديث التوبة. في البداية، اقترح أصدقاء أيوب بحذر فكرة أن الألام تحلّ بالناس بسبب خطاياهم، بينما ينال الشخص التائب مغفرة الله وتتركه تلك الألام. بهذا دعوا أيوب إلى التوبة. رفض دعوتهم. لماذا؟ يتضح السبب أكثر وأكثر مع كل خطاب جديد ويأخذ الجدل حول التوبة طابعاً أكثر حدةً. أخيراً، تُزال الأقنعة. وخلف أقنعة أصدقائه يمكن رؤية وجوه قضاته القاسية.

لم يأت هؤلاء الناس لتعزية أيوب، بل لإدانته. لا تختلف دعواتهم للتوبة بأي شكل من الأشكال عن بعض استجابات الأجهزة الستالينية. في كثير من الأحيان، لم يكن محقق هذه الأجهزة يتكلّف حتى عناء توجيه الاتهام للمعتقل، بل كان يسأل ببساطة: "أخبرنا عن أفعالك الإجرامية. ألم تفعلها؟ لماذا أنت في السجن إذًا؟ عن طريق الخطأ؟ لا ترتكب الأجهزة أخطاء؛ إنهم لا يسجنون الناس من أجل لا شيء! أخبرنا بما أنت مذنب به. باشر، لا تضيع الوقت! من مصلحتك الخاصة الإدلاء باعتراف صادق".

عندما رفض أيوب مرة أخرى ذكر كل انتهاكاته السرية والعظيمة، راح أصدقاؤه يهددونه: "إن الأمر سيئ للغاية بالنسبة لك الآن. إن لم تعترف فسيكون الأمر أسوأ!" استمر أيوب في الامتناع عن مثل هذا الاعتراف الذي لا يمكن أن يرضي الله. اعترف بألم بأنه يرغب في التحدث عن ذلك مع الله نفسه ليسأله عن سبب كل هذه الألام الفظيعة. ثم تكلم الله بنفسه إلى أيوب وذكره أن الخالق أعلى من كل المخلوقات، وأن الإنسان لا يستطيع أن يفهم كل مقاصده وأفعاله. تواضع أيوب أمام الله بتوبة تعترف بعظمة مخططات الله وبرارة أعماله. يضع الله نقطة الختام على نهاية جدال أيوب مع أصدقائه. أيوب صالح. أخطأ أصدقاؤه إليه بإدانتهم لرجل بار، وعليهم الآن أن يطلبوا من أيوب الصلاة من أجلهم.

تنتهي قصة العهد القديم بانتصار أيوب على مخططات الشيطان، وتلقّيه بركة من الله. لكن في الواقع، لم تنته القصة بعد... فهي تستمر في العهد الجديد، حين يتحد الله مع البشرية المتألّمة، ويعيش كإنسان، ويتألّم ويؤدّي خدمته العظيمة على الأرض. ينزل إلى الهاوية ويهزم قوى الشر، ويقوم إلى الحياة الأبدية، ويمد يده لمساعدة الذين يموتون.

Source: Deacon Pavel Serzhantov. On the Passion of Christ and the Book of Job. Provoslavie. 5/2/2013.
<https://orthochristian.com/61259.html>

معرفة الله في كتابات ديونيسيوس الأريوباغيتي*

إيريني أرتامي وخريستوس تارايس
نقلتها إلى العربية اسرة التراث الأرثوذكسي

يمكن وصف أعمال ديونيسيوس بأنها عرض لما يمكن أن يعرفه الإنسان عن الله وكيف يمكنه بمعرفته تسمية الله. إنه مهتم بالتقدم، ليس وفقاً لكلمات الحكمة البشرية، بل وفقاً للكتاب المقدس [٤٣]. فمن ثم تُكتسب معرفة الله من خلال تفسير التراتيبات الرمزية. يستند ديونيسيوس في هذا الموقف إلى ما يلي: "يجب أن نرفع غير المادي ونثبت أعين أذهاننا على تدفق النور ذلك، والذي هو أولي فعلاً وأكثر من أولي، وهو الذي يأتي من مصدر الألوهية هذا، أعني الآب. هذا هو النور الذي يجعلنا نعرف عن طريق الرموز التمثيلية تراتيبات الملائكة الفائقة البركة. لكننا بحاجة إلى الارتقاء من تدفق الاستنارة هذا حتى نصل إلى شعاع الضوء البسيط نفسه" [٤٤].

ينبغي فهم معرفة الله على أنها معرفة صفات الله وأنماط كيانه والاتجاه من "السماء" إلى "الأرض" وليس العكس: "... لقد نزلت من أعلى الفئات إلى أدناها، واحتضنت عدداً متزايداً من المفاهيم التي زادت في كل مرحلة من مراحل النزول، ولكنها في الرسالة الحالية تتصاعد من أسفل نحو فئة السمو، وبما يتناسب مع صعودها تنكمش مصطلحاته، وعندما ينتهي الصعود كله سيكون باهتاً تماماً، لكونه بالنهاية متحدًا تمامًا مع الذي تعجز الكلمات عن وصفه" [٤٥].

إن الشرط المسبق لمعرفة الإنسان لله هو إعلان الله لذاته. والافتراض المسبق لإعلان الله لذاته هو عدم قابليته للفهم. إن مصطلح "الإعلان" يدل على شيئين: أن معرفة الله مستحيلة كما معرفة إرادة الله وقدرته على الإعلان عن نفسه وميزة تلقي الوحي عند الإنسان [٤٦].

إذاً يمكن وصف الجزء الأكثر أهمية من أعمال ديونيسيوس بأنه عرض لما يمكن أن يعرفه الإنسان عن الله وكيف يمكنه، بمعرفته، أن يسمي الله. إنه مهتم بالعمل، ليس بحسب كلمات الحكمة البشرية، بل بحسب الكتاب المقدس [٤٧]. في بحثه عن معرفة الله بحسب ما قاله الكتاب المقدس، يلجأ أيضاً إلى جهود الفلاسفة. النقطة التي تلفت الانتباه أكثر من غيرها عند ديونيسيوس هي إصراره على أن موضوع اهتمامه يتجاوز تماماً قدرة الإنسان على الفهم. يمكن مقارنة حقيقة الله من خلال التأمل في الرموز الإلهية. اللاهوت الرمزي هو بناء بشري يحاول التقاط مجموعة متنوعة من الطرق الدنيوية للامحدودية الإلهية. إن مفهوم الله أقرب إلى الواحد أو الصالح [٤٩]. لذلك من خلال الرموز، يحاول الإنسان فهم الله على أنه واحد وصالح دون أن ينجح في ما هو أكثر تقدماً من ذلك.

يدعم ديونيسيوس مبدأ أن اللاهوت يتجاوز ما هو هامد كما هو حي. لهذا السبب، يؤكد ديونيسيوس أن أي تأكيدات حول اللاهوت لا تتعارض مع نفينا، ولكن يجب تجاوز كليهما: حتى النفي يجب أن يُنقَض. إن الأسماء السلبية المذكورة في جميع حالات الله الثلاثة. إنه ليس كائناً واحداً بين آخرين، ولكن في طبيعته النهائية

يسكن على مستوى لا يوجد فيه أي شيء غيره. النوع الوحيد من الوعي الذي قد ينسبه الإنسان إليه هو ما يمكن وصفه بالوعي الشمولي [٥٠]. إن الله أسمى من كل العالم المخلوق. لا يميّز نفسه عن الجنس البشري، لكونهم أنفسهم متوقفين عند هذا المستوى ويجب أن يتحوّلوا بالكامل بواسطته. ومع ذلك هم يميّزون بينهم وبينه، إذ بسبب المستوى الأدنى لكيانهم المحدود هم ينظرون إلى الأعلى ويرون أن المستوى المطلق يتجاوزهم [٥١].

بالنسبة إلى ديونيسيوس، اللاهوت الصوفي هو "مثل سلم قائم على الأرض تصل قمته إلى السماء حيث ملائكة الله يصعدون وينزلون، ويقف فوقه الله القدير" [٥٢]. ويؤكد أن الله هو مبدأ البساطة الذي هو مصدر كل الكائنات. بشكل عام، إن طريقة تحدّث ديونيسيوس عن الله الذي هو مصدر الكمال وجميع الكائنات هي نفس طريقة أفلوطين [٥٣] وبروكلس الفيلسوف، وتعاليم ديونيسيوس عن الله في الثالوث وقواه هي تعديل جذري مرتّجل لأفكار فلاسفة الأفلاطونية المحدثة حول الواحد والكون العقلي والكون عمومًا [٥٥]. لقد كان هؤلاء الثلاثة مترابطين في نفس الفترة التاريخية، ما نتج عنه استخدام تعابير أو أشكال تعبيرية مشتركة.

يتبع ذلك التفاعلات التي تمت ملاحظتها. ومع ذلك، على الرغم من أن ديونيسيوس يستخدم تعابير أو عبارات من أفلوطينوس وبروكلس، إلا أنه تمكن من تفويض قراءة مسيحية لهما (التفويض هو تقريب الأجزاء من بعضها وجعلها قطعة واحدة: قاموس المعاني). بشكل عام، يؤكد الأريوباغيتي في "اللاهوت الصوفي" على الاتحاد مع الكائن الإلهي من خلال رحلة صعودية إلى صمت الظلام الإلهي الذي يسمو فوق كل معرفة [٥٦]. يحكي سيرجيو لابورتا عن أنه "من خلال التخلي عن كل الإدراك الحسي والنشاط العقلي والهوية النفسية، يصبح المسافر متحدًا تمامًا مع ما هو غير معروف. على غرار غريغوريوس النيصي من قبله، يقدّم ديونيسيوس صعود موسى إلى جبل سيناء كنموذج كتابي أول لهذا الصعود المستيكي [٥٧].

يستخدم الأب ديونيسيوس مثالاً شائعاً جدًّا من غريغوريوس النيصي. رمز "الظلمة" بالمعنى الوارد في خروج ٢٠:٢١. لم يقترب الناس من الجبل، وظلوا على مسافة، بينما اقترب موسى من الظلام الدامس حيث كان الله. لا يُدعى الله "ظلمة"، لكنه يبدو كساكنٍ في الظلمة بسبب عدم قدرتنا على استيعاب جوهره أو طبيعته الداخلية. بمعنى آخر، الظلام فينا وليس فيه.

هذا يتوافق مع أب مهم آخر للكنيسة، يوحنا الذهبي الفم. فهو يقول أن الناس لا يستطيعون رؤية طبيعة الله أو جوهره، لكنه اختار أن يظهر نفسه بطرق وأنواع أو أشكال يمكن للعقل البشري أن يدركها. كل هذا يكشف أن هذه الشهادات تعبر عن تنازل إلى ضعف الطبيعة البشرية، ما يتطلب شيئًا تستطيع العين أن تراه والأذن أن تسمعه. ليس بطاقة الإنسان أن يدرك الطبيعة الإلهية نفسها التي هي بسيطة وغير مركبة وخالية من الشكل. لذلك يضطر الله لأن يساعد الإنسان على فهم بعض الأشياء المتعلقة به. يسكب الله الذات الإلهية بشكل مفرط في البشر، وهذه الذات بدورها تنجذب غريزيًا إلى الله. إن النفوس التي تصير مكاناً خصباً لهذه المحبة تكون "مرايا صافية وخالية من الشوائب تعكس وهج النور الأول وفي الواقع الله نفسه" [٥٨]، وتتحد مع الله (التأله). بهذه الطريقة، تمتلئ النفوس البشرية بنور الله الأول وهو يزودهم بالقدرة على فهم الأمور المتعلقة

بالله وجدانياً [٥٩].

الله ليس معروفاً، فقط من خلال معرفة المؤمنين لما يأتي من العقل، وهو غير مرئي، ولكن أيضاً من خلال الجهل به. على الرغم من وجود الفهم الروحي له، والإدراك، والمعرفة، والاتصال، والإدراك الحسي، والرأي، والمفهوم، والتسمية، وما إلى ذلك، إلا أنه يبقى غير مفهوم، ولا مشروح، ولا مسمى. إنه ليس شيئاً موجوداً، لكنه يُرى أيضاً في أي شيء موجود. إنه "الكل في الكل" [٦٠] ومع ذلك فهو ليس شيئاً في مكان ما. الكل يراه في الكل ومع ذلك لا يراه أحد في أي شيء. هذا نقوله عن الله لسبب وجيه، وعلى أساس كل الوجود هو محمود لانسجامه مع كل ما هو سببه [٦١].

يوضح ديونيسيوس أنه عندما يتم تجريد العقل من فكرته عن الله وعن أنماط التفكير البشرية والمفاهيم غير الملائمة عن الإله، فإنه يدخل في "ظلام الجهل" حيث "يتخلى عن كل مخاوف الفهم ويتم لقه في ذلك" الذي هو غير ملموس وغير مرئي بالكامل ... متحدّ... به وهو المجهول تماماً" [٦٢].

لتلخيص معرفة الله وفقاً لديونيسيوس الأريوباغيتي، سنستخدم مقطع لوسكي: "إله ديونيسيوس، غير المفهوم بطبيعته، إله المزامير: الذي جعل الظلام مكانه السري"، ليس هو الإله الأول كما في وحدة الله عند الأفلاطونيين الجدد. إذا كان غير مفهوم، فليس ذلك بسبب البساطة التي لا يمكن أن تتصالح مع التعددية التي تتلوث بها كل المعرفة المتعلقة بالمخلوقات. إنه، إذا جاز القول، عدم فهم أكثر جذرية وأكثر حتمية. في الواقع، لن يكون الله غير مفهوم بالطبيعة إذا كان هذا الغموض متجذراً، كما عند أفلوطين، في بساطة الواحد" [٦٣].

الجزء الأول: اللاهوت الصوفي في المسيحية الشرقية

الجزء الثاني: معرفة الله في كتابات القديس غريغوريوس النيصي

* هذا المقال هو الجزء الثالث من:

Eirini Artemi & Christos Terezis (2019). The mystical theology as a path of man for the divine Knowledge in the writings of Gregory of Nyssa, Dionysius Areopagite, and Maximus the Confessor. De Medio Aevo. 13, 2019. 153-176.

43 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 585-587, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>

44 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 585-587, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>.

45 Dionysius the Areopagite, De Mystica Theologia, 3, PG 3, 1033BC, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920.

46 Th. Henry Louis Parker, Calvin's Doctrine of the Knowledge of God, Oregon: Wipf and Stock, 2015, p. 12.

47 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 596A-D, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>. Cf. R. McInerney, "A History of Western Philosophy, vol. II, part I: The Age of Augustine", Jacques Maritain Center, <http://www3.nd.edu/Departments/Maritain/etext/hwp203.htm> [access 19.9.2016]

48 ibidem.

49 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 597B, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>.

50 E. Rolt, Dionysius the Areopagite: On the Divine Names and the Mystical Theology, London: Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library -SPCK, 1920, p. 5. Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 596B, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>: "Indeed the inscrutable One is out of the reach of every rational process. Nor can any words come up to the inexpressible Good, this One,

- this Source of all unity, this supra-existent Being. Mind beyond mind, word beyond speech, it is gathered up by no discourse, by no intuition, by no name. It is and it is as no other being is. Cause of all existence, and therefore itself transcending existence, it alone could give an authoritative account of what it really is”.
- 51 Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 596B, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>; Dionysius the Areopagite *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 593CD, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>.
- 52 Dionysius the Areopagite, *Preface to De Mystica Theologia*, PG 3, 997AB, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920.
- 53 Plotinus taught about the One as the source of Being (τὸ ὄν), Life, and Mind. Plotinus, *Enneades* 1, 8, 2; Cf. Chr. Schäfer, *The Philosophy of Dionysius the Areopagite. An Introduction to the Structure and the Content of the Treatise On the Divine Names*, Leiden – Boston: Brill, 2006, p. 86-87. Cf D. Birjukov, “Hierarchies of Beings in the Patristic Thought. Gregory of Nyssa and Dionysius the Areopagite”, in *The Ways of Byzantine Philosophy*, ed. Mikonja Knežević, Contemporary Christian thought series no. 32, Alhambra, California: Sebastian Press, 2015, p. 83.
- 54 Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 589BC, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>: “We learn, for instance, that it [the One] is the cause of everything, that it is origin, being, and life. To those who fall away it is the voice calling, 'Come back!' and it is the power which raises them up again. It refurbishes and restores the image of God corrupted within them. It is the sacred stability which is there for them when the tide of unholiness is tossing them about. [...] Source of perfection for those being made perfect, source of divinity for those being deified, principle of simplicity for those turning toward simplicity, point of unity for those made one.... And so it is that as Cause of all and as transcending all, he is rightly nameless and yet has the names of everything that is. Truly he has dominion over all and all things revolve around him, for he is their cause, their source, and their destiny”. Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, 1, PG 3, 596C, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>. Cf. Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 589BC, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>; Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 596C. Chr. Terezis, *Searches to the ancient Greek Philosophy*, Patra, 2002, p. 163-165. Proclus, *The elements of theology*, p. 160-161, ff, *A Revised Text with Translation, Introduction, and Commentary*, by E.R. Dodds.
- 55 Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 2, 4, PG 3, 640D, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>. VI. Lossky, “La théologie négative dans la doctrine de Denys l’Aréopagite”, *Revue de Sciences Philosophiques et Théologiques* 28 (1939) 204-221. VI. Lossky, *In the Image and Likeness of God*, New York: St. Vladimir's, Crestwood, 1985, p. 13-29, 31-43.
- 56 Dionysius the Areopagite, *De Mystica Theologia*, 3, PG 3, 1033C, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920. Dionysius the Areopagite, *De Mystica Theologia*, 4, PG 3, 1045D-1048B, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920.
- 57 La Porta, “Two visions of Mysticism: The corpus dionysiacum and the Book of Lamentation”, *Revue théologique de Kaslik*, 3-4 (2009-2010), 243-257, p. 252.
- 58 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 3, PG 3, 165A, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 59 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 8, PG 3, 212BC, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 60 1Cor. 15:24, transl. by E. Artemi.
- 61 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 2, PG 3, 363-366, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987. Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 8, PG 3, 412BC, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 62 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 8, PG 3, 412BC, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 63 VI. Lossky, *The mystical theology of the Eastern Church*, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press, 1994, p. 33